تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 61- سورة النور | من الأية 35 إلى 45

عبدالرحمن العجلان

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واقسم بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن لان امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة - 00:00:00

ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليهما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين في هاتين الايتين - 00:00:32

الكلام عن المنافقين الذين دعوا الى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنعوا الذين قال الله جل وعلا عنهم ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين - 00:01:03

واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين قال الله جل وعلا عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة - 00:01:33

جاؤوا يعتذرون الى النبي صلى الله عليه وسلم لانهم ما امتنعوا عن حكم الرسول صلى الله عليه وسلم لنفاق في قلوبهم وان الرسول صلى الله عليه وسلم لو امرهم بما يأمرهم به - 00:02:07

في اي امر يأمرهم به فيطيعونه لو امرهم بالخروج من اموالهم لخرجوا لو امرهم بان يخرجوا من ديارهم لخرجوا لو امرهم ان يخرجوا للجهاد في سبيل الله لخرجوا ينفون معالقهم من العار - 00:02:37

من كراهيتهم وردهم لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاقسام الفاجرة ومن صفات المنافقين انهم يكثرون الحلف لانه لا قيمة للحلف عندهم ويغرون بذلك المؤمنين وهم يحلفون كثيرا كما قص الله جل وعلا عنهم - 00:03:09

في ايات كثيرة في سورة المنافقين وفي غيرها من الايات المتحدثة عن المنافقين انهم يحلفون يقسمون يشهدون غير ذلك من الالفاظ التي يؤكدون بها ما يقولونه وهم فاجرون كاذبون وهم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم - 00:03:48

يقسمون يقسمون بالله جهد ايمانهم المؤمن يتخوف من الحلف الكاذبة لانها تغمس صاحبها في النار. وتسمى الغموس اليمين الغموس تغمس صاحبها في الاثم وفي النار المؤمن يتحرج من ذلك ولا يحلف - 00:04:25

من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان قالوا يا رسول الله وان كان شيء يسير قال وان كان قضيبا من اراك ولا يجوز للمرء ان يحلف الا ما تيقنه - 00:05:00

واما ما شك فيه فيتركه. ولا يحلف عليه كما كان سلفنا الصالح رحمة الله عليهم ربما تتوجه اليه اليمين فيفتدي يمينه بماله ولا يحلف لانه يشك في صدقة الا يحلف - 00:05:28

واما اذا تيقن صدقه يقينا فلا ينبغي ان ترده اليمين ان ترده عن اخذ حقه كما قال عمر رضي الله عنه لا تمنعكم اليمين عن حقوقكم والله ان في يدي عصا ويهز العصا رضي الله عنه - 00:05:53

فالحلف اذا كان الصادقة فهي توحيد لله جل وعلا وتعظيم له واما اذا كانت فاجرة فهي الغموس التي تغمس صاحبها في الاثم ومن صفات المنافقين انهم يكثرون الايمان الفاجرة الكاذبة - 00:06:17

وهم يعلمون كذب انفسهم لانه لا قيمة لليمين عندهم ولا خوف من الله جل وعلا وانما يخافون من الناس ولا يخافون من الله

ويحلفون لاجل الناس كذبا وزورا ولا يخافون الله جل وعلا الذي على ما في قلوبهم - 00:06:38
واقسموا بالله جهد ايمانهم يهدأ يعني طاقتهم وقدرتهم بتكرير اليمين وتغليظه وتأكيده بما استطاعوا حتى انهم يشقون في ذلك على انفسهم. لان الجهد المشقة يعني يأتون بما يستطيعون من ايمان كثيرة - 00:07:05
مؤكدة مكررة كل هذا لاجل نفي التهمة عنهم وهم واقعون في الاثم وجهد منصوب على انه مصدر مفعول مطلق مؤكد للفعل والفعل محذوف يجهدون ايمانهم جهدا ففعل جهد محذوف دل عليه السياق - 00:07:41
يأتون بطاقتهم الى الحلف لنفي ما اتهموا به وهم واقعون فيه لان امرتهم لا يخرجن لان امرتهم يعني لو يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لانهم يقولون حلفا ثانية والله لان امرتنا بالخروج لنخرج - 00:08:19
مشعرة بالقسم ومؤكد بنون التوكيد لان امرتنا بالخروج من اي شيء لنفعل ولا نتوقف تخرج من اموالنا نخرج من ديارنا نخرج للجهاد سنفعل فرد الله جل وعلا عليهم الذي هو اعلم بما في ضمائرهم - 00:08:50
بقوله جل وعلا للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد قل لهم لا تقسموا لا تحلفوا هم اقسموا الان لان الله جل وعلا قال عنهم واقسموا بالله وقال الله جل وعلا قل لا تقسموا - 00:09:21
يعني قسمكم وعدمه سواء او لا تقسموا لانهم ما طلب منكم القسم لا تقسموا قل لا تقسموا لا تحلفوا على ما تقولون وانتم كاذبون انتهى الكلام عند هذه الكلمة لا تقسم - 00:09:47
وابتدأ كلاما جديدا طاعة معروفة طاعة معروفة طلب منكم شيء واحد وهو الطاعة بالمعروف هذا معنى لا تقسموا طاعة معروفة خير لكم يعني مطلوب منكم الطاعة بالفعل لا بالاقسام الكاذبة والايمان الفاجرة - 00:10:19
التي لا تفيد وتضركم مطلوب منكم الطاعة في المعروف طاعة معروفة خير لكم تكون حينئذ طاعة معروفة طاعة مبتدأ وخبره خير لكم وقيل طاعة معروفة خبر لمبتدع محذوف تقديره طاعتكم معروفة - 00:11:04
الذي اقسمتم على الطاعة مثل ما سبق مثل ما هو معروف عنكم طاعتكم معروفة باللسان فقط واما بالفعل فلا فلا طاعة عندكم قل لا تقسموا طاعة معروفة. طاعتكم معروفة طاعة نفاق - 00:11:53
باللسان فقط وعند طلب التطبيق لا تطبيق ولا فعل عندكم ويحتمل المعنى الحث على الطاعة الصادقة طاعة معروفة خير لكم امر لهم وتنبيه ان المطلوب منهم كذا ويحتمل المعنى انه على سبيل التحكم بهم - 00:12:21
قل لا تقسموا طاعتكم معروفة وهي طاعة النفاق والخيانة والكذب والزور طاعة معروفة طاعتكم معروفة باللسان فقط واما في التطبيق والاستجابة فلا ما جرب عنكم ذلك ثم اكد جل وعلا الامر بقوله - 00:13:00
ان الله خبير بما تعملون الله جل وعلا مطلع على ما في ظمائركم ويعلم جل وعلا ان طاعتكم هذه طاعة نفاق والختم بهذا الخاتم الاية يقوي المعنى الثاني طاعتكم معروفة طاعة نفاق - 00:13:34
لان الله خبير بما تعملون والله جل وعلا يعلم ان ايمانكم هذه ايمان كاذبة وهو خبير باقوالكم واعمالكم وما تنطوي عليه ضمائركم. قلوبكم لا تخفى عليه خافية والله جل وعلا - 00:14:06
لا يخفى عليه شيء من احوال عباده يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وهو خبير باعمال عبادة ظاهرها عمل الجوارح وباطنها عمل القلوب ويفرق جل وعلا بين عمل المنافق وعمل المؤمن - 00:14:40
وامن الناس فلا يكادون يميزون بين عمل هذا ريا وسمعة وبين عمل اخر لوجه الله جل وعلا. لا يميزون بينهما لانه في الظاهر سواء. والباطن لا يعلمونه واما الله جل وعلا - 00:15:10
فلا تخفى عليه خافية يعلم العمل ان كان لوجهه جل وعلا فيتقبله ويثيب عليه وان كان لغيره رده ولا قبله لانه جل وعلا غني عن المشاركة والشريك جل وعلا لا يقبل العمل اذا كان له فيه شريك - 00:15:30
ختم هذه الاية تحسن على الاخلاص لله جل وعلا وارادة وجهه لانه لا يقبل كل عمل عمله العبد قد يعمل العمل من اعمال الاخرة ومما يعمل لله لكنه عمله لاجل الناس. للمدح - 00:15:57

والثناء والرياء والسمعة وللحصول على ما يريد الله جل وعلا لا يقيم لهذه الاعمال التي اريد بها غير وجهه لا يقيم لها وزنا كما قال الله جل وعلا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - 00:16:29

وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا انه قال انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه الله جل وعلا لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا صوابا. خالصا لوجهه الكريم صوابا على سنة - 00:16:58

رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واما ما كان خالصا لوجهه ولم يكن على وفق السنة فهو مردود على صاحبه وما كان على وفق السنة لكنه لم يكن خالصا لوجه الله جل وعلا فهو مردود على صاحبه ولا قيمة له عند الله جل وعلا - 00:17:21

ثم حثهم جل وعلا حث العبادة عموما مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم قل يا محمد اطيعوا الله واطيعوا الرسول ان اردتم السعادة والفوز وربح الدنيا والاخرة فاطيعوا الله واطيعوا الرسول قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول - 00:17:44

بهذا طاعة حقيقية طاعة صادقة طاعة خالصة لوجه الله جل وعلا اذا فعلتم ذلك ففي هذا النجاة فهو يؤكد جل وعلا الامر بالطاعة بما في ذلك من سعادة الدنيا والاخرة - 00:18:22

قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فان تولوا يحتمل ان يكون خطاب للمأمورين بالطاعة فان تولوا كان الامر للنبي صلى الله عليه وسلم بامرهم ثم خاطبهم وحذف التاء الاولى تخفيفا - 00:18:51

الخطاب تتولوا فان تتولوا فيكون الخطاب لهم للمأمورين بالطاعة بعد امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يأمرهم بذلك وفي هذا رجوع من مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم قل اطيعوا الله - 00:19:30

الى مخاطبة المأمورين انفسهم لتأكيد الامر والحث لهم على الطاعة والاستجابة واظهار العناية بهم لعلهم يطيعوا فان تولوا ويحتمل ان يكون الخطاب الفعل للغيبة قل لهم هذا فان تولوا فلم يستجيبوا لك يا محمد - 00:19:59

والاول اقرب كما قال ذلك كثير من المفسرين فان تولوا اي ان تتولوا انتم او فان تولوا اعرضوا فلم يستجيبوا لك يا محمد فانما عليهما حمل وعليكم ما حملتم الظمائر هنا تعزز - 00:20:43

القول الاول لانه عبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فان عليه يعني على الرسول والخطاب لكم وعليكم ما حملتم خطاب لهم اذا الاقرب وان تولوا اي فان تتولوا انتم - 00:21:11

فانما على على الرسول البلاغ وقد ادى وعليكم ما امرتم به ولم تمتثلوا فتحملتم الحمل الثقيل وقوله فان تولوا شرطية من شرقية والفعل فعل الشرط والجواب اين هو جواب الشرط - 00:21:39

فان تتولوا فانما على الرسول فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم فان تعرضوا فالنتيجة ان الرسول قد ادى ما عليه وانتم تحملتم الحمل وعليكم المسئولية حيث لم تمتثلوا فاعلموا ان العذاب واقع بكم لا محالة حينئذ - 00:22:09

والرسول صلى الله عليه وسلم حمله الله جل وعلا ماذا البلاغ انما على رسولنا البلاغ المبين فانما عليهما حمل حمله البلاغ وقد ادى عليه الصلاة والسلام ما حمل بلغ الرسالة - 00:22:50

وادى الامانة ونصح الامة صلوات الله وسلامه عليه وجاهد في الله حق جهاده حتى اتاه اليقين وتركنا صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك - 00:23:16

وعليكم ما حملتم. اي ما امرتم به من الطاعة. وفي هذا وعيد الرسول عليه شيء وهو البلاغ وقد ادى ما امر به وعليكم انتم ما امرتم به فلم تمتثلوا اذا - 00:23:37

وفي هذا وعيد لهم ان لم يستجيبوا وان تطيعوه تهتدوا ان اردتم الهداية ان اردتم الطريق السوي الصراط المستقيم ان اردتم الحق فاطيعوه وان تطيعوه تهتدوا اداة شرق وفعل الشرط - 00:24:10

وجواب الشرط من الشرقية تطيعوه فعل الشرط تهتدوا وان تطيعوه فيما امركم به عليه الصلاة والسلام وتطيعوه فيما نهاكم عنه عليه الصلاة والسلام فانه لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر - 00:24:43

والسعادة كل السعادة في الدنيا والاخرة امتثال امره صلى الله عليه وسلم واجتناب نهيه وان تطيعوه تهتدوا وترشدوا وتصيب الحق

وتفوز بالسعادة الابدية في الدنيا والاخرة ثم اكد ما تقدم من الاية بقوله - 00:25:15
وما على الرسول الا البلاغ المبين ما على الرسول الا البلاغ المبين عليه البلاغ البين الواضح وقد قام به فبقي ما عليكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اللام في - 00:25:55
الرسول يصح ان تكون للعهد ويصح ان تكون للجنس فاذا قلنا للعهد ويكون المراد بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. لانه هو المتحدث عنه والمأمور في قوله جل وعلا قل لا تقسموا - 00:26:26
واذا قلنا اللام للجنس شملت الرسل قل لهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين واتت بقاعدة عظيمة ان الرسول عليه البلاغة مهمته البلاغ والحساب على الله جل وعلا والتوفيق بيد الله جل وعلا - 00:26:52
والهداية بيد الله جل وعلا الرسول مبلغ عن ربه جل وعلا. اي رسول من الرسل الذين ارسلهم الله جل وعلا الى العباد فهم مبلغون عن الله وقد بلغوا وقد بلغوا الرسل - 00:27:19
وهذه الامة تشهد لجميع الرسل بالبلاغ عن ربهم ما ارسلوا اليهم بلغوا امهم وقوله جل وعلا وما على الرسول الا البلاغ المبين مقررة لما تقدمها ومؤكدة لذلك فان فانما عليهما حمل وعليكم ما حملتم وما على الرسول الا البلاغ المبين - 00:27:38
وفي هاتين الايتين توبيخ للمنافقين على كثرة ايمانهم الكاذبة وتنبيه للمؤمنين بان لا يكثروا اليمين الا في حق وصدق وان لا يحلفوا الا على حق واليمين الفاجرة كبيرة من كبائر الذنوب - 00:28:24
اليمين والغموس واليمين الصادقة توحيد لله جل وعلا وتعظيم له ودعوة للمنافقين بالطاعة وترغيب لهم في ذلك وحث لهم على ان يطيعوا وفيها ان لم يطيعوا تهكم بهم وتوبيخ لهم - 00:28:57
لان طاعتهم التي يقسمون عليها طاعة نفاق باللسان فقط وحث للخلق عموما الثقلين الجن والانس بطاعة الله جل وعلا وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لطاعة الله جل وعلا. لانه لا يأمر الا بما فيه طاعة لله جل - 00:29:32
وعلا قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا اي توليتم واعرضتم ولم تستجيبوا فانما على رسولنا البلاغ المبين. رسولنا بلغ الرسالة وانتم تبلغتم بما بلغتم به ولم تمتثلوا فاستحققتم العذاب الموعود به في الدار الاخرة - 00:30:07
وفي هذا تحذير وتنفير للمرء عن طاعة الله جل وعلا وانه اذا عصى الله جل وعلا فيما امره الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بطاعة الله جل وعلا وقد استحق العذاب في الدار الاخرة - 00:30:37
والرسول بلغ وادى ما امر به وبين جل وعلا وظيفة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين انهم المبلغون عن الله جل وعلا والله جل وعلا هو الذي يتولى السرائر ويتولى محاسبة العباد - 00:31:09
ويتولى ثوابهم بالطاعة ومعاقبتهم بالمعصية والرسول صلى الله عليه وسلم ليس بيده من امر الهداية التي بمعنى التوفيق والالهام شيء وانما هي بيد الله جل وعلا وانما بيده شيء من هداية الدلالة والارشاد - 00:31:37
فهو يرشد العباد الى الصراط المستقيم فان هداهم الله واستقاموا وثبتوا عليه سعدوا في الدنيا والاخرة وان ردوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد بلغهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما ارسل به اليهم - 00:32:03
وتحملوا هم عقوبة رد ما امروا به والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:32:23